- ٧ -

الخرجة الأعجمية

استوفى هذا الموضوع كل من الدكتور عبد العزيز الأهوانى فى كتابه «الزجل فى الأندلس» ، وغارسيا غومس فى كتابه الخرجات (الرومانثية) ، وليس لدى من مزيد أضيفه سوى الاشارة الى أمر ذكرته قبل ذلك ؛ وهو أن هذه الخرجات بدأت فى الاختفاء فى القرن السابع . وأنها تسير - حسب ذلك - فى خط متناقص ، كما أن الموشحة تسير فى طريق التعريب حتى تصير قصيدة عند لسان الدين ابن الخطيب وابن زمرك . فما دلالة ذلك ؟ .

نشك فى أن الوشاح العربى الاندلسى قد ألفها كما فعل ابن سناء الملك بخرجاته الفارسية ، فهذا كان يعارض الأندلسيين - باللغة الاجنبية التى يعرفها (الفارسية) ، ومهما تواترت الينا الأنباء عن معرفة عرب الاندلس للغات الرومانثية ، كما نشك أن أحدا معينا معروفا من أصل ايبيرى قد قام بذلك . ونفس الشىء ينطبق على بعض الخرجات العامية العربية التى درسها فى ابداع عبد العزيز الأهوانى فى كتابه القيم «الزجل فى الأندلس» ، وأثبت بما لا يدع مجالا للشك انتماءها للغناء الشعبى الذى تملكه الجماعة .

وبالتالى : نسأل هل استعان الوشاح الاول بالغناء الشعبى الأعجمى أم بالغناء الشعبى العربى ؟ الاجابة تتضح فى صياغة ابن بسام البسيطة لخبره عن الموشحات «يأخذ اللفظ العامى والعجمى ويسميه المركز» فالنوعان من الأغانى تعايشا وتمازجا قبل اختراع الموشح ، واكتسب الغناء العربى نكهة ايبيرية قديمة ، كما اكتسب الغناء الايبيرى نكهة عربية قديمة مرة وحديثة مرة أخرى مع توالى الهجرات العربية (وأقصد دائما بالعربية : عرب شبه الجزيرة وغيرهم من الشام ومصر وأهل المغرب عربا كانوا أو بربرا) . وهكذا عندما يأتى زرياب سيجد أن الغناء العربى الايبيرى القديم قد صار أندلسيا ، بمعنى أنه قطع نصف الطريق نحو امكانية الامتزاج والتزاوج مع الموسيقى العربية الرسمية وحملها نحو أفق جديد .

ويبقى دليل على ذلك بعض الخرجات الأعجمية المختلطة بالكلمات العربية ، وتلك الأخرى العربية المختلطة بالكلمات الأعجمية مع روحها الشعبية النفاذة فى

الحالتين ليست الا درجة عليا من تولد غنـــاء شعبى أندلسى جديد بين العربية والاعجمية ، وقد قطف ثماره زرياب ومعاصروه .

وتلك خرجة أعجمية حوت كلمات عربية معربة تقريبا :

أشت ديـــا البـــاديـــا

ديـــادل العنصر حقـــا بشتريه ثوبى المـــدبج

ونشق الـــرمـــح شقـــا

[وتعـــنى : هذا اليوم ، يـــوم فجرىّ ، يوم عيـــد سان خوان (العـــنصرة) ، سارتدى ...] .

وهذه خرجة عربية حملت كلمات أعجمية :

نـــون كـــر نون ان خـــلال الا الـــفتـــى السمـــرل

[نون كر نون : لا أريد] وكلمة خلال وسمرل كلمتان عربيتان لحقتهما اداة التصغير الرومانثية فهما خليل ، أسمر (مصغران) .

ولا بأس بخرجات عامية عربية هى مرقصات أطفال :

سيـــد صحـــب البنـــفسج جى لعمـــك حبيـــبى جي

وأخرى :

أحمـــد محـــبـــوبـــى بـــالنـــبى تـــيـــجـــي

جـــنـــى بـــالـــلـــه جـــى حبيـــبى جـــي

وهذا الجو الممتزج يولد مثل هذه الصورة فى احدى الخرجات :

أعجمـــى الصـــوت لـــكن شجـــاني

عـــــربـــــــى الـــلـــســـــان